العرب
الأربعاء 2020/12/23
السنة 43 العدد 11920

«الحلبة».. تأرجح فني بين المبالغة والقصور

عرض مسرحي مصري يستعرض تحديات الحياة الإنسانية عبر جولات المُلاكمة

تمثل التجارب المسرحية الشبابية في مصر حاجة ضرورية لضخّ دماء جديدة وإثراء الحركة المسرحية بِأفكار مختلفة وبروح متمردة، ومن هذا المنطلق جاء العرض المسرحي "الحلبة"، وهو من بواكير الأعمال المسرحية للمخرج والممثل الشاب محمد فاروق.

حنان عقيل
كاتبة مصرية

يُمكن فهمه والتفاعل معه باختلاف السياقات التي يطرح فيها، ما يعزّز فكرة الثراء الفني.

القاهرة – يعدّ عنوان العرض المسرحي المصري "الحلبة" الذي قام ببطولته ثلاثة من الممثلين الشباب، هم؛ طارق الكاشف ومحمد فاروق وآية بدر، المكوّن الأساسي للمنظر المسرحي، وهو أيضا المكان الذي تحاك من خلاله حبكة العمل المسرحي، إذ تبدأ الأحداث وتنتهي خلال مباراة الملاكمة بين شابين.

وتلك العناصر الرئيسية، ممثلة في الأبطال الثلاثة والديكور ألثابت، لم تتغيّر طوال مدة العرض المسرحي رغم تغيّر الأحداث والأدوار المختلفة التي لعبها الممثلون، لأن المسرحية أرادت التأكيد على رمزية المكان وما يحمله من دلالات متنوعة.

واستمد مخرج العرض، محمد فاروق، فكرة "الحلبة" من نص مسرحي أرجنتيني، بيد أنه، حسبما أوضح في تصريحات سابقة له، لم يلتزم بأحداث النص الأصلي، ولم يأخذ منه سوى خط وحيد هو ذلك الاستدعاء الذي يقوم به الملاكم للقطات من حياته تؤثّر في راهنِه ومستقبله، ليُخلص العرض من أي مكونات زمانية ومكانية، بغية إضفاء بعد إنساني لافت

استدعاء من الماضي

في حلبة الملاكمة ومع كل جولة تعلن عنها الفتاة في العرض، يستدعي البطل صورة من حياته الماضية التي ما زال حضورها وتأثيرها قائما في شخصيته وفي تعاطيه مع الأمور والأحداث من حوله.

وجاءت الانطلاقة الرئيسية في العرض من التأكيد على أهمية فترة ألطفولة ودورها في تشكيل شخصية الإنسان، فالملاكم في المسرحية يستدعي فترات قاسية من طفولته، كان الفقر المدقع عنوانا أساسيا لها، في طفولة ظللتها الأم بحنانها، وكان الحرمان العاطفي وقسوة مجابهة الحياة محطة ثانية بعد أن رحل الدفء ممثلا في الأم، بكل ما تحمل من حنان ورمزية معنوية.

ومع كل جولة من جولات الملاكمة التي يبدو فيها البطل هزيلا في مواجهة خصمه، تتداعى في ذهن ذلك الملاكم مشاهد من ماضيه، بعضها قاس أسهم في ترسيخ ضعف شخصيته وصورته المتداعية عن ذاته، وبعضها مشرق كان يشي ببارقة أمل لاحت في الأفق مع قصة حب تشكّلت في إحدى محطات حياته، لكنها سرعان ما واجهت رياحا قويّة لم يقو على مجابهتها بعد ميراث من الضعف والألم النفسي الذي مرّ به على مدار أيامه.

يبدو محتوى القصة تقليديا وسبق تناوله في أعمال سابقة، غير أن السياق الذي جاء فيه هذه المرة مختلف، ويحمل العديد من المعاني، التي أرادت المسرحية التركيز عليها وتوصيلها للجمهور، في تجربة قد تترك أثرا كبيرا لدى من تابعوها.

تصير حلبة الملاكمة في العرض معادلة للصراعات التي يلقاها الإنسان في حياته، والتي تحتاج منه التوقف والتفكّر عندما يكون جاهزا لدخول جولة جديدة، أم أن الجولات الخاسرة التي مرّ بها قد أعيته ويحتاج إلى هُدنة مع ذاته يُرمّم خلالها ما تهشّم منه ليصبح أكثر جاهزية للمواجهة والمنافسة من جديد بدلا من الاستمرار بروح مهزومة وإيمان ضعيف بالذات.

> العرض على أهمية فكرته لم يوفّق في تعميق الصراع الداخلي عند البطل المُلاكم أو مستوى الصراع بين الممثلين الثلاثة

في لحظات فارقة يحتاج الإنسان إلى المزيد من التفكير لحسم خياراته، والتدقيق في المسار المفيد، خاصة في الأوقات التي يصعب فيها التوفيق بين العديد من المتناقضات.

رموز وتحديات

رغم تركيز الفكرة التي اختارها مخرج العمل وجودتها، إلاّ أن العديد من التحديات لم يأت التعامل معها بالشكل الأفضل، أبرزها الأداء التمثيلي؛ فالأبطال الثلاثة قدّموا مشهد الملاكمة كحدث آني يدور في تلك اللحظة لكنهم كانوا مطالبين بتقديم مشاهد الماضي، كذلك ليتبدل الملاكم إلى طفل ثم مراهق ثم شاب.

وتتغيّر المُعلنة عن بدء جولة جديدة إلى أم الطفل ثم مُعلمة ريفية ثم امرأة بغي، ويشارك المُلاكم المنافس للبطل بأدوار مغايرة في استدعاء البطل لماضيه.

ومع أن ذلك التقليص للأدوار واقتصاره على الأفراد الثلاثة، جاء مهما في تكثيف العرض، غير أنه تطلّب قدرة على التنويع في الأداء الجسدي والصوتي، مع تغيير أزياء الشخصية بما يتلاءم مع الدور المُستدعى، وهو ما لم يحدث في أغلب المشاهد، فجاء الأداء التمثيلي باهتا وموحدا في معظم الأحيان لاسيما مع ثبات أزياء الشخصيات، ما أدّى إلى بناء حاجز بدرجة ما مع المتلقي الذي ربما وجد صعوبة في الاندماج مع مختلف الشخصيات المُقدّمة.

حاول العرض نقل أجواء المشهد الذي يدور عبر خيال الظل وتقنية الفيديو في عمق المشهد المسرحي، لكن المشاهد تأرجحت في تلك المسألة ما بين نقيضين؛ المبالغة والقصور.

وفي بداية العرض المسرحي يستخدم الفيديو ليقدّم نيران مشتعلة كرغبة جاءت مُغالية في التعبير عن صعوبة أجواء المنافسة والإثارة، أما القصور فكان تقنيا في عدم تزامن عرض الفيديو مع المشهد، وخيال الظل الذي ظهر متأخرا في أكثر من مشهد، وبدا خافتا وصغيرا بما لا يسمح بتوضيح مكان الحدث في عدد من المشاهد.

ومع أن الموسيقى جاءت لتعبّر عن الحالات المختلفة من منافسة أو شجن أو رومانسية، لكنها استُخدمت بمغالاة في الكثير من الأحيان بما جعل صوتها أعلى من الصراع الدرامي في العرض الذي جاء باهتا في العديد من المشاهد، على مستوى الصراع الداخلي عند البطل المُلاكم أو مستوى الصراع بين الممثلين الثلاثة، ولم يوفق العرض في تعميقه، لاسيما ذلك الصراع بين الملاكم كزوج وزوجته، فقد بدت انفعالات الزوجة في عدد من المشاهد مُبالغا بها، ولا يوجد ما يبرّرها على مستوى الكتابة المليئة بالفجوات.

كل التحديات والفجوات على مستوى الدراماتورج أو الإخراج في عرض "الحلبة"، لا تقلّل من أهمية المسرحية، وتظل الطاقات ممثلة في فئات الشباب الواعد المُحمّل بأفكار جدية وجرأة فنية، والتي هي بحاجة إلى تلك المساحة من التعبير والتطوير التي تتيحها العديد من المهرجانات المسرحية في أنحاء مختلفة من مصر.

ضربات موجعة كما هو حالنا مع تجاربنا الحياتية

ثلاث شخصيات تروي أكثر من حكاية

«هارب من/ إلى الدولة الإسلامية» مونودراما تونسية عن صناعة التطرّف

لم تمنع الإجراءات المشدّدة للحد من انتشار فايروس كورونا في تونس، من إقدام المسرحيين التونسيين على كتابة نصوص تطرح موضوع صناعة التطرف، التي راجت في السنوات الأولى بعد ثورة 14 يناير 2011.

تونس – "هارب من/ إلى الدولة الإسلامية"، هو أحدث الأعمال المسرحية للمخرج التونسي وليد الدغسني، الذي اتخذ من كتاب "كنت في الرقّة: هارب من الدولة الإسلامية" للصحافي التونسي هادي يحمد، نصّا متينا لإعادة طرح الموضوع وفق مقاربة مسرحية أجاد أداءها الممثل منير العماري.

وخلال العرض الأول للمسرحية بفضاء التياترو بالعاصمة تونس، وظّف العماري كل ما يمكن أن يستوعبه العمل المسرحي للتعبير عن هذا التغيّر الذي أصاب عددا كبيرا من الشباب التونسي في فترة انفلت فيها الوضع وطغى فيها الخطاب التكفيري، حيث استعان الممثل بحركاته ونظراته وإيماءاته وأنفاسه وخطواته ليحاكي مراحل "صناعة العقل المتوحّش"، كما سمّاها الكاتب والصحافي التونسي هادي يحمد، من خلال قصة الإرهابي الهارب من تنظيم داعش، محمد الفاهم.

وجاء في تعريف الكتاب الذي ترجم إلى أكثر من لغة عند صدوره في العام 2018 "هذا الكتاب ثمرةُ لقاء غريب، ومأتى الغرابة ليس في الرواية المشوّقة، ولا في أهمية وقوّة تفاصيلها فحسب، بل في أن تُروى أيضا من قبل فاعلها. ربما تكون سابقة أن يروي شاب عاش ضمن تنظيم الدولة الإسلامية، أو ما يصطلح عليه بداعش، تجربته للرأي العام".

ويضيف يحمد في تقديمه للكتاب "كثيرة هي الشهادات التي جاءت من مقاتلي تنظيم الدولة الإسلامية (داعش)، تحت الضغط وتحت وقع الأسر، وهذه الشهادة ليست بشهادة أسير ولا مضطر؛ إنها شهادة حرة؛ شهادة من الداخل، خُطت بحرية كاملة دون ضغوط؛ شهادة كاملة لمسار رحلة تمّت بوعي واختيار".

وتطرح المسرحية المقتبسة من الكتاب تساؤلات عن تحوّل لم يعهده التونسيون من قبل، وكيف تحوّل شاب عاشق للموسيقى والشعر والأدب مقبل على الحياة، إلى إرهابي ينتشي بالأشلاء والدماء؟ وما الذي يدفع طبيبا حديث التخرّج من الجامعة إلى السفر إلى أرض تحصد فيها آلة الموت أرواحا بالمئات، حين اشتدّت رحى الاقتتال في سوريا؟

أسئلة تبدو في ظاهرها مبهمة لا يوجد لها تفسير منطقي، لكنها تحتمل إجابات كثيرة تحدّث عنها مختصون في علم الاجتماع ومفكّرون وشرّحها كتاب وفنانون، كل على طريقته.

أما منير العماري، فتحدّث عن ولادة هذا المشروع بينه وبين المخرج انطلاقا من اهتمام شخصي بهذا الموضوع الذي تناسته الدولة بعد استشارة صاحب الرواية.

وأضاف الممثل في نفس السياق أن العمل "يحاول طرح أحداث واقعية للجمهور إثر الأحداث التي عاشتها تونس، ومن باب التذكير والتساؤل عن الذين سافروا إلى بؤر التوتر وعادوا دون حسيب ولا رقيب".

والمسرحية الممتدة على 50 دقيقة، تسافر بمتابعيها من بلد إلى آخر ومن زاوية إلى أخرى، وتُقحمهم في أجواء القصف والقتل، يرويها العماري بطريقة تقرب من الخيال لكنّها أقرب إلى الحقيقة، لاسيما أنّ النصّ المسرحي أساسه شهادة حية من شاب تونسي كان هناك في الرقّة، معقل تنظيم داعش منذ نشأته.

ويبدو هذا العرض المسرحي الذي يُصنّف ضمن المونودراما في جوهره تراجيديا، لكن الممثل الذي يبدو متمكّنا من تفاصيل النصّ ومفاصله يفتح من حين إلى آخر فسحات من الكوميديا أداء وكلمات ما دفع الحاضرين إلى الضحك رغم المرارة التي لا تخفى عن تفاصيل العرض.

ومن مشهد إلى آخر، يحاول العماري ملامسة الأسباب النفسية والاجتماعية التي تخلق شابا متطرفا، في ديكور بسيط لا يزيد عن كرسي واحد منتصب على خشبة المسرح، وحركات يأتيها الممثل من حين إلى آخر بصحبة "عرائس متحركة" أضفت على العرض حيوية، وألقت بمعان متعددة مع كل ظهور ومع كل ضوء في خفوته أو سطوعه.

ويتنقل الممثل التونسي من وضعية نفسية إلى أخرى، ومن حالة ذهنية إلى أخرى، فترتسم لوحات ذات معان، فالرجل يجيد التحرك على الخشبة، ويجيد شدّ الأنظار إليه، وهو الذي تمكن من خيوط العرض وبرع في تحريكها، ويبدو متشبعا بالنص متقمصا للأدوار التي أداها ببراعة.

وليد الدغسني

الرواية تعطي القارئ فرصة التفكير بينما تهديه المسرحية الفرجة

ومن هناك تُعيد مسرحية "هارب من/ إلى الدولة الإسلامية" موضوع العائدين من بؤر التوتر إلى الواجهة وتطرح تساؤلات حول الظروف والأسباب التي تدفع شخصا ما إلى اتباع الجماعات المتطرفة.

واستطاع مخرج العمل، وليد الدغسني، أن يثبت حضور تجربته على خارطة المسرح العربي عبر تجاربه المسرحية الملفتة، وهو من قال عنه الناقد اللبناني عبيدو باشا "لا يتبع وليد الدغسني درب المهابيل بالمسرح، لا تعبر أعماله إلاّ في عين المسرح المقدسة عند المسرحيين. يزور المسرح كما يزور الزوار المقامات".

وقدّم الدغسني للمسرح التونسي، بل والعربي عموما، عددا من العروض المسرحية التي لفتت انتباه النقاد والمتابعين من خلال فرقته "كلاندستينو" التي أسّسها مع رفقاء له في العام 2008، ومن هذه العروض «ذئاب منفردة»، «الماكينة»، «ثورة دون كيشوت»، «سمّها ما شئت» و«سماء بيضاء» وغيرها.

ديكور بسيط لقصة مربكة